

مكتبة مشكاة الإسلامية  
زاد المسير في علم التفسير  
ابن الجوزي  
سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \*  
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ  
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا \* } وَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً  
لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا  
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا {

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة في آخرين: هي  
مكية. وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالوا: إلا ثلاث آيات منها  
نزلت بالمدينة وهي قوله: { وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ {  
إلى قوله: { غَفُورًا رَحِيمًا } الفرقان.

قوله تعالى: { تَبَارَكَ } قد شرحناه في [الأعراف: 54] والفرقان:  
القرآن، سمي فرقانا لأنه فرق به بين الحق والباطل.  
والمراد بعبده: محمد صلى الله عليه وسلم، { لِيَكُونَ } فيه قولان.  
أحدهما: أنه كناية عن عبده، قاله الجمهور.

والثاني: عن القرآن حكاة الماوردي.  
قوله تعالى: { لِلْعَالَمِينَ } يعني الجن والإنس { نَذِيرًا } أي: مخوفا  
من عذاب الله.

قوله تعالى: { فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: سواه وهيباه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.  
والثاني: قدر له ما يصلحه ويقيمه.

والثالث: قدر له تقديرا من الأجل والرزق.

ثم ذكر ما صنعه المشركون فقال: { وَ تَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً }  
يعني: الأصنام { لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ } أي: وهي

مخلوقة { وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا } أي دفع ضرر ولا جر نفع  
لأنها جماد لا قدرة لها، { وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا } أي: لا تملك ان تميت  
أحدا ولا أن تحيي أحدا ولا أن تبعث احدا من الأموات، والمعنى:  
كيف يعبدون ما هذه صفته، ويتركون عبادة من يقدر على ذلك  
كله؟

{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ  
آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* } وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَتَبَهَا  
فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا {

قوله تعالى: { وَقَالَ لَّذِينَ كَفَرُوا } يعني: مشركي قريش وقال مقاتل: هو قول النضر بن الحارث من بني عبد الدار { إِنَّ هَذَا } أي: ما هذا يعنون القرآن { إِلَّا إِفْكٌ } أي كذب { فُتْرَاهُ } أي: اختلقه من تلقاء نفسه { وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ } قال مجاهد: يعنون اليهود، وقال مقاتل: أشاروا إلى عداس مولى حويطب ويسار غلام عامر بن الحضرمي وجبر مولى لعامر أيضا، وكان الثلاثة من أهل الكتاب.

قوله تعالى: { فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا } قال الزجاج: المعنى: فقد جاؤوا بظلم وزور، فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب، والزور: الكذب { وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين، وقد بينا ذلك في [الأنعام: 25]. قال المفسرون: والذي قال هذا هو النضر بن الحارث. ومعنى { كُتِبَتْهَا } أمر أن تكتب له. وقرأ ابن مسعود وإبراهيم النخعي وطلحة بن مصرف: { كُتِبَتْهَا } برفع التاء الأولى وكسر الثانية، والابتداء على قراءتهم برفع الهمزة { فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ } أي تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها، لأنه لم يكن كاتباً. { بُكْرَةً وَأَصِيلًا } أي: غدوة وعشيا { قُلْ } لهم يا محمد: { أَنْزَلَهُ } يعني: القرآن { لِذِي يَعْلَمُ } أي لا يخفى عليه شيء { فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ }.

**{ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلِ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا }**

قوله تعالى: { وَقَالُوا } يعني المشركين { مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ } أنكروا أن يكون الرسول بشرا يأكل الطعام ويمشي في الطرق كما يمشي سائر الناس يطلب المعيشة، والمعنى: انه ليس بملك ولا ملك لأن الملائكة لا تأكل، والملوك لا تتبدل في الأسواق، فعجبوا أن يكون مساويا للبشر لا يتميز عليهم بشيء، وإنما جعله الله بشرا ليكون مجانسا للذين أرسل إليهم، ولم يجعله ملكاً يمتنع من المشي في الأسواق، لأن ذلك من فعل الجابرة، ولأنه أمر بدعائهم فاحتاج أن يمشي بينهم.

قوله تعالى: { لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ } وذلك أنهم قالوا له: سل ربك أن يبعث ملكا يصدقك، ويجعل لك جناحا وقصورا وكنوزا، فذلك قوله: { أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ } أي: ينزل إليه من السماء { أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا } أي: بستان يأكل من ثماره. قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر { يَأْكُلُ } منها بالياء يعنون النبي صلى الله عليه وسلم. وقرأ حمزة والكسائي { تَأْكُلُ } بالنون. قال أبو علي المعنى: يكون له علينا مزية في الفضل بأكلنا من جنته، وباقي الآية مفسر في [بني إسرائيل: 47]

قوله تعالى: { يُظُنُّ } يا محمد { كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ [الْمَثَالَ] حِينَ  
 مثلوك بالمسحور وبالكاهن والمجنون والشاعر { فُضِّلُوا } بهذا  
 عن الهدى { فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } فيه قولان.  
 أحدهما: لا يستطيعون مخرجا من الأمثال التي ضربوها، قاله  
 مجاهد والمعنى: أنهم كذبوا ولم يجدوا على قولهم حجة وبرهاناً،  
 وقال الفراء: لا يستطيعون في أمرك حيلة.  
 والثاني: سبيلا إلى الطاعة، قاله السدي.

{ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا \* بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ  
 بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا \* إِذَا رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا  
 وَزَفِيرًا \* وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا مَّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا \*  
 لَا تَدْعُوا لِيَوْمٍ ثُبُورًا وَجِدًا وَ دُعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا }

ثم أخبر أنه لو شاء لأعطاه خيرا مما قالوا في الدنيا، وهو قوله:  
 { خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ } يعني لو شئت لأعطيتك في الدنيا خيرا مما  
 قالوا، لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. { وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا }  
 { قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم { وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا }  
 { برفع اللام. وقرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائي وحفص عن  
 عاصم { وَيَجْعَلُ } بجزم اللام. فمن قرأ بالجزم كان المعنى: إن  
 يشأ يجعل لك جنات ويجعل لك قصورا. ومن رفع فعلى الاستثناء  
 المعنى: ويجعل لك قصورا في الآخرة. وقد سبق معنى «أعدنا»  
 [النساء: 37] ومعنى «السعير» [النساء: 10]

قوله تعالى: { إِذْ رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ } قال السدي عن أشياخه  
 من مسيرة مائة عام.

فان قيل: السعير مذكر فكيف قال إذا رأتهم.  
 فالجواب أنه أراد بالسعير النار.  
 قوله تعالى: { سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا } فيه قولان.

أحدهما: غليان تغيط، قاله الزجاج. قال المفسرون: والمعنى:  
 أنها تتغيط عليهم، فيسمعون صوت تغيطها وزفيرها كالغضبان إذا  
 غلا صدره من الغيط.

والثاني: يسمعون فيها تغيط المعذبين وزفيرهم، حكاه ابن قتيبة.  
 قوله تعالى: { وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَبِيحًا مَّقْرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ  
 ثُبُورًا } قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزج على الرمح،  
 وهم قد قرنوا مع الشياطين، والثبور، الهلكة. وقرأ عاصم  
 الجحدري وابن السميع { ثُبُورًا } بفتح الثاء.

قوله تعالى: { وَ دُعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا } قال الزجاج: الثبور مصدر  
 فهو للقليل والكثير على لفظ الواحد. كما تقول ضربته ضرباً  
 كثيراً، والمعنى: هلاكهم أكثر من أن يدعوا مرة واحدة. وروى انس  
 بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أول من يكسى من اهل النار يوم القيامة إبليس، يكسى حلة من النار فيضعها على حاجبيه، ويسحبها من خلفه، وذريته خلفه وهو يقول: واثبورا، وهم ينادون: يا ثورهم حتى يقفوا على النار، فينادي: يا ثبورا، وينادون: يا ثورهم فيقول الله عز وجل: {لَا تَدْعُوا لِيَوْمٍ ثُبُورًا وَجِدًا وَذُغُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}.

**{ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ لِي وَعِدَّ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا }**

قوله تعالى: { قُلْ أَذَلِكَ } يعني: السعير { خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ } وهذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين، لا على أن في السعير خير. وقال الزجاج: قد وقع التساوي بين الجنة والنار في أنهما منزلان، فلذلك وقع التفضيل بينهما.

قوله تعالى: { كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً } أي: ثوابا ومصيرا أي: { مرجعا } قوله تعالى: { وَآرِثُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ } المشار إليه، إما الدخول وإما الخلود { وَعْدًا } وعدهم الله إياه على السنة الرسل. وفي معنى { مَسْئُولًا } قولان.

أحدهما: مطلوبا. وفي الطالب له قولان. أحدهما: أنهم المؤمنون، سألوا الله في الدنيا إنجاز ما وعدهم به. والثاني: أن الملائكة سأله ذلك لهم، وهو قوله: { رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ لِي فِيهَا نَجْمٌ كَذَرٍّ لِي وَعَدْنُهُمْ } [غافر: 8] والثاني: أن معنى المسؤل؟ الواجب.

**{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا \* فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظَلِم مِّنْكُمْ نُدْفَعُهُ عَذَابًا كَبِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ لَّمْرٍ سَلِيلٍ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ أَلْطَعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَضَرُّونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا }**

قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ } قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم: { يَحْشُرُهُمْ } { فَيَقُولُ } بالياء فيهما. وقرأ نافع وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: { نَحْشُرُهُمْ } بالنون { فَيَقُولُ } بالياء. وقرأ ابن عامر: { نَحْشُرُهُمْ } بالنون فيهما جميعا، يعني: المشركين، { عَتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ } قال مجاهد: يعني عيسى وعزيرا والملائكة. وقال عكرمة والضحاك: يعني الأصنام، فيأذن الله للأصنام في الكلام، ويخاطبها فيقول: { أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ } أي: أمرتموهم بعبادتكم { أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ } أي: أخطأوا الطريق. { قَالُوا } يعني الأصنام { سُبْحَانَكَ } { نَزَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَهُ } { مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ

دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ { نوالِيهم، والمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نعبد نحن غيرك، فكيف ندعو إلى عبادتنا؟ فدل هذا الجواب على أنهم لم يأمرُوا بعبادتهم. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وابن جبير والحسن وقتادة وأبو جعفر وابن يعمر وعاصم الجحدري { أَنْ تَتَّخِذَ { برفع النون وفتح الخاء، ثم ذكروا سبب تركهم الإيمان فقالوا: } وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ { أي أطلت لهم العمر وأوسعت لهم الرزق حتى نسوا الذكر، أي: تركوا الإيمان بالقرآن والاتعاظ به، } وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا { قال ابن عباس: هلكت. وقال في رواية أخرى: البور في لغة أزد عمان. الفاسد. قال ابن قتيبة: هو من بار يبور إذا هلك وبطل، يقال: بار الطعام: إذا كسد، وبارت الأيم إذا لم يرغب فيها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الأيم، قال: وقال أبو عبيدة: يقال: رجل بور وقوم بور لا يجمع ولا يشنى، واحتج بقول الشاعر:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذا أنا بور

وقد سمعنا ب «رجل بائر» ورأيناهم ربما جمعوا «فاعلا» على «فعل» نحو عائذ وعود، وشارف وشرف. قال المفسرون: فيقال للكفار حينئذ فقد كذبوكم، أي: فقد كذبكم المعبودون في قولكم: إنهم آلهة. وقرأ سعيد ابن جبير ومجاهد ومعاذ القاريء وابن شنبوذ عن قنبل: { بِمَا يَقُولُونَ } بالياء والمعنى: كذبوكم بقولهم: { سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا } الآية، هذا قول الأكثرين. وقال ابن زيد: الخطاب للمؤمنين، فالمعنى: فقد كذبكم المشركون بما تقولون: إن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: { فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا } قرأ الأكثرون بالياء. وفيه وجهان.

أحدهما: فما يستطيع المعبودون صرفا للعذاب عنكم ولا نصرا لكم.

والثاني: فما يستطيع الكفار صرفا لعذاب الله عنهم ولا نصرا لأنفسهم. وقرأ حفص عن عاصم: { تَسْتَطِيعُونَ } بالتاء، والخطاب للكفار. وحكى ابن قتيبة عن يونس البصري أنه قال: الصرف الحيلة من قولهم: إنه ليتصرف.

قوله تعالى: { وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ } أي: بالشرك { نُذِقْهُ } في الآخرة. وقرأ عاصم الجحدري، والضحاك، وأبو الجوزاء وقتادة: { يُذِقْهُ } بالياء { نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا } أي: شديدا. { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ لَّمْرُسَلِينَ } قال الزجاج: في الآية محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك رسلا من المرسلين، فحذفت رسلا لان قوله: { مِنْ لَّمْرُسَلِينَ } يدل عليها.

قوله تعالى: {إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ لَطْعَامَ وَيَمْسُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} أي: إنهم كانوا على مثل حالك، فكيف تكون بدعا منهم. فان قيل: لِمَ كسرت {أَنَّهُمْ} هاهنا، وفتحت في [براءة:54] في قوله: {أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ تَفَقُّهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ} فقد بينا هالك علة فتح تلك، فأما كسر هذه، فذكر ابن الأنباري فيه وجهين.

أحدهما: أن تكون فيها واو حال مضمرة فكسرت بعدها «إن» للاستئناف، فيكون التقدير: إلا وإنهم ليأكلون الطعام، فأضمرت الواو هاهنا، كما أضمرت في قوله: {أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف: 4] والتأويل: أو وهم قائلون.

والثاني: أن تكون كسرت لإضمار «مَنْ» قبلها، فيكون التقدير: وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا مَنْ إنهم ليأكلون، قال الشاعر: فظلوا ومنهم دمة سابق له وأخر يشي دمة العين بالمهل

أراد: مَنْ دمه.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} الفتنه: الابتلاء والاختبار.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه افتتان الفقير بالغني، يقول: لو شاء لجعلني غنيا، والأعمى بالبصير، والسقيم بالصحيح، قاله الحسن.

والثاني: ابتلاء الشريف بالوضيع، والعربي بالمولى، فاذا أراد الشريف أن يسلم فرأى الوضيع قد سبقه بالإسلام أنف فأقام على كفره، قاله ابن السائب.

والثالث: أن المستهزئين من قريش كانوا إذا رأوا فقراء المؤمنين، قالوا: انظروا إلى أتباع محمد من موالينا وذرالتنا، قاله مقاتل.

فعلى الأول: يكون الخطاب بقوله: {أَتَصْبِرُونَ} لأهل البلاء.

وعلى الثاني: للرؤساء، فيكون المعنى: أتصبرون على سبق الموالي والأتباع. وعلى الثالث: للفقراء؛ فالمعنى: أتصبرون على أذى الكفار واستهزائهم، والمعنى: قد علمتم ما وعد الصابرون، {وَكَانَ رَبُّكَ بِصِيرًا} بمن يصبر وبمن يجزع.

{وَقَالَ لِيذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِمَلِيكَهُ أَوْ تَرَى رَبَّنَا لَقَدْ سَتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا \* يَوْمَ يَرَوْنَ لِمَلِيكَهُ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا \* وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا \* أَصْحَابُ لِحْنَةٍ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} {وَقَالَ لِيذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} أي: لا يخافون البعث {لَوْلَا} أي: هلا {أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِمَلِيكَهُ} فكانوا رسلا إلينا وأخبرونا بصدقك، {أَوْ تَرَى رَبَّنَا} فيخبرنا أنك رسوله، {لَقَدْ

قوله تعالى: {وَقَالَ لِيذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا} أي: لا يخافون البعث {لَوْلَا} أي: هلا {أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِمَلِيكَهُ} فكانوا رسلا إلينا وأخبرونا بصدقك، {أَوْ تَرَى رَبَّنَا} فيخبرنا أنك رسوله، {لَقَدْ

سَتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ { أي: تكبروا حين سألوها هذه الآيات،  
{ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } قال الزجاج: العتو في اللغة: مجاوزة القدر  
في الظلم.

قوله تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ لَمَلَكَةً} فيه قولان.  
أحدهما: عند الموت.

والثاني: يوم القيامة.

قال الزجاج: وانتصب اليوم على معنى: لا بشري للمجرمين يوم

يرون الملائكة، و{يَوْمَئِذٍ} مؤكد لـ {يَوْمَ يَرَوْنَ لَمَلَكَةً}

والمعنى: أنهم يمنعون البشري في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون

{يَوْمَ} منصوبا على معنى: اذكر يوم يرون الملائكة، ثم أخبر

فقال: {لَا بُشْرَىٰ} والمجرمون هاهنا الكفار.

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ جِحْرًا مَّخْجُورًا} وقرأ قتادة، والضحاك،

ومعاذ القاريء: {جِحْرًا} بضم الحاء. قال الزجاج: وأصل الحجر

في اللغة: ما حجرت عليه، أي: منعت من ان يوصل إليه، ومنه حجر

القضاة على الأيتام.

وفي القائلين لهذا قولان.

أحدهما: أنهم الملائكة، يقولون للكفار: حجرا محجورا، أي: حراما

محراما. وفيما حرموه عليهم قولان:

أحدهما: البشري، فالمعنى: حرام محرم ان تكون لكم البشري،

قاله الضحاك، والفراء وابن قتيبة، والزجاج.

والثاني: أن تدخلوا الجنة، قاله مجاهد.

والثاني: أنه قول المشركين إذا عابوا العذاب، ومعناه: الاستعادة

من الملائكة، روي عن مجاهد أيضا. وقال ابن فارس: كان الرجل

إذا لقي من يخافه في الشهر الحرام، قال: حجرا أي: حرام عليك

أذاي، فاذا رأى المشركون الملائكة يوم القيامة، قالوا: حجرا

مخجورا، يظنون أنه ينفعهم كما كان ينفعهم في الدنيا.

قوله تعالى: {وَقَدِمْنَا} قال ابن قتيبة: أي: قصدنا وعمدنا،

والأصل أن من أراد القدوم إلى موضع عمد له وقصده.

قوله تعالى: {إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ} أي من أعمال الخير

{فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً} لأن العمل لا يتقبل مع الشرك.

وفي الهباء خمسة أقوال.

أحدها: أنه ما رأيته يتطاير في الشمس التي تدخل من الكوة مثل

الغبار، قاله علي عليه السلام، والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير،

وعكرمة، واللغويون، والمعنى: ان الله أحبط أعمالهم حتى صارت

بمنزلة الهباء.

والثاني: أنه الماء المهراق، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنه ما تنسفه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر،

رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس.

والرابع: أنه الشرر الذي يطير من النار، إذا أضرمت فاذا وقع لم يكن شيئاً، رواه عطية عن ابن عباس.  
والخامس: أنه ما يسطع من حوافر الدواب، قاله مقاتل.  
والمنثور: المتفرق.

قوله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ} أي: يوم القيامة، {خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا} أفضل منزلاً من المشركين {وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} قال الزجاج: المقيل: المقام وقت القائلة، وهو النوم نصف النهار. وقال الأزهري: القيلولة عند العرب: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وإن لم يكن مع ذلك نوم. وقال ابن مسعود، وابن عباس: لا ينتصف النهار من يوم القيامة، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

{ وَيَوْمَ تَشْهَقُ السَّمَاءُ بِرُغَمٍ وَنُزُلٍ لِّمَلَائِكَتٍ تَنْزِيلًا \* لِمَلِكٍ يَوْمَئِذٍ لِّحَقِّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَىٰ لِكَافِرِينَ عَسِيرًا \* وَيَوْمَ يَعْصُ الْأُطْلَمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا \* يُؤْتِلَنَا لَيْتَنِي لِمَ أَخَذْتُ فَأَنَا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا }

قوله تعالى: { وَيَوْمَ تَشْهَقُ السَّمَاءُ بِرُغَمٍ وَنُزُلٍ لِّمَلَائِكَتٍ تَنْزِيلًا } هذا معطوف على قوله: { يَوْمَ يَرَوْنَ لِمَلَائِكَةً } وقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: { تَشْهَقُ } بالتشديد، فأدغموا التاء في الشين لأن الأصل { تتشقق } قال الفراء: المعنى: تتشقق السماء عن الغمام، وتنزل فيه الملائكة، و«على»، و«عن» و«الباء» في هذا الموضع بمعنى واحد، لأن العرب تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، والمعنى واحد. وقال أبو علي الفارسي: المعنى: تتشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه، وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة، قال ابن عباس: تتشقق السماء عن الغمام، وهو الغيم الأبيض، وتنزل الملائكة في الغمام. وقال مقاتل: المراد بالسماء: السماوات تتشقق عن الغمام، وهو غمام أبيض كهيئة الضباب، فتنزل الملائكة عند انشقاقها. وقرأ ابن كثير: { زَهُوقًا وَنُزُلًا } بنونين، الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، واللام مضمومة، والملائكة نصباً. وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني: { وَنُزُلًا } بنون واحدة مفتوحة، ونصب الزاي وتشديدها وفتح اللام ونصب الملائكة. وقرأ ابن يعمر: { وَنُزُلًا } بفتح النون واللام والزاي والتخفيف { لِمَلَائِكَةً } بالرفع.

قوله تعالى: { لِمَلِكٍ يَوْمَئِذٍ لِّحَقِّ لِلرَّحْمَنِ } قال الزجاج: المعنى: الملك الذي هو الملك حقاً للرحمن، فأما العسير، فهو الصعب الشديد يشتد على الكفار، ويهون على المؤمنين فيكون كمقدار صلاة مكتوبة.



قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } في سبب نزولها  
ثلاثة أقوال.

أحدها: أن أبي بن خلف، كان يحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجالسه من غير أن يؤمن به، فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك، فنزلت هذه الآية. رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس. والثاني: أن عقبة دعا قوما فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام، فأكلوا وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل، وقال لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فشهد بذلك عقبة، فبلغ ذلك أبي بن خلف وكان خليلاً له. فقال: صبوت يا عقبة، فقال: لا والله ولكنه أبى أن يأكل حتى قلت، ذلك، وليس من نفسي، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.

والثالث: أن عقبة كان خليلاً لأمية بن خلف، فأسلم عقبة، فقال أمية: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً، فكفر وارتد لرضى أمية، فنزلت هذه الآية، قاله الشعبي.

فأما الظالم المذكور هاهنا فهو الكافر، وفيه قولان.

أحدهما: أنه أبي بن خلف، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: عقبة بن أبي معيط، قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة. قال عطاء: يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين، ثم تنبتان فلا يزال هكذا، كلما نبت يده أكلها ندامة على ما فعل.

قوله تعالى: { قَالَ لَئِن لَّبِثْتُ لَأَسْكُنَنَّ مِنَ الْكُفَّارِ الْبَلَدَ الْمُحَرَّمُ } وأبو عمرو يحركها، قال أبو علي: والأصل التحريك: لأنها بازاء الكاف التي للخطاب، إلا أن حرف اللين تكره فيه الحركة، ولذلك أسكن من أسكن، والمعنى: ليتني اتبعته فاتخذت معه طريقاً إلى الهدى.

قوله تعالى: { لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا } في المشار إليه أربعة أقوال.

أحدها: أنه عنى أبي بن خلف قاله ابن عباس.

والثاني: عقبة بن أبي معيط، قاله أبو مالك.

والثالث: الشيطان قاله مجاهد.

والرابع: أمية ابن خلف قاله السدي.

فان قيل: إنما يكنى من يخاف المبادأة أو يحتاج إلى المداجاة، فما وجه الكناية؟

فالجواب: أنه أراد بالظالم كل ظالم، وأراد بفلان: كل من أطيع في معصية، وأرضى بسخط الله، وإن كانت الآية نزلت في شخص، قاله ابن قتيبة. قوله تعالى: { لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ } أي صرفني عن القرآن والإيمان به { بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي } مع الرسول، وهاهنا تم الكلام، ثم قال الله تعالى: { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ } يعني: الكافر { خَدُولًا } يتبرأ منه في الآخرة.

**{ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي بِخَدُوا هَذَا لِقُرْءَانَ مَهْجُوراً \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنْ لِّمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا }**

قوله تعالى: { وَقَالَ الرَّسُولُ } يعني محمدا صلى الله عليه وسلم، وهذا عند كثير من العلماء أنه يقوله يوم القيامة، فالمعنى: ويقول الرسول يومئذ. وذهب آخرون، منهم مقاتل، إلى أن الرسول قال: ذلك شاكيا من قومه إلى الله تعالى، حين كذبوه. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو { إِنَّ قَوْمِي بِخَدُوا } بتحريك الياء، وأسكنها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. وفي المراد بقوله: { مَهْجُوراً } قولان. أحدهما: { متروكا } لا يلتفتون إليه ولا يؤمنون به، وهذا معنى قول ابن عباس ومقاتل.

والثاني: هجروا فيه، أي: جعلوه كالهذيان، ومنه يقال: فلان يهجر في منامه، أي: يهذي، قاله ابن قتيبة. وقال الزجاج: الهجر ما لا ينتفع به من القول. قال المفسرون: فعزاه الله عز وجل، فقال: { يَجْهَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا } أي: كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك، جعلنا لكل نبي عدوا من كفار قومه، والمعنى: لا يكبرن هذا عليك، فلك بالأنبياء أسوة، { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } يمنعك من عدوك. قال الزجاج: والباء في قوله بربك زائدة، فالمعنى: كفى ربك هاديا ونصيرا.

**{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ لِقُرْءَانٌ جُمْلَةً وَّجِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً \* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا \* الَّذِينَ يُخَشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا }**

قوله تعالى: { لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ لِقُرْءَانٌ جُمْلَةً وَّجِدَةً } أي: كما أنزلت التوراة والإنجيل والزبور، فقال الله عز وجل: { كَذَلِكَ } أي: أنزلناه كذلك متفرقا، لأن معنى ما قالوا: لم نزل عليه متفرقا؟ فقيل: إنما أنزلناه كذلك { لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ } أي: لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة، وذلك أنه كان يأتيه الوحي في كل أمر وحادثة، فكان أقوى لقلبه، وأنور لبصيرته، وأبعد لاستيحاشه { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً } أي: أنزلناه على الترتيل، وهو التمكن الذي يضاد العجلة. قوله تعالى: { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ } يعني المشركين { بِمَثَلٍ } يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك { إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ } أي: بالذي هو الحق، لترد به كيدهم { وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } من مثلهم، والتفسير: البيان والكشف.

قال مقاتل: ثم أخبر بمستقرهم في الآخرة، فقال: { لِّذِينَ يُخَشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ } وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمدا وأصحابه شر خلق الله، فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: { أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا } أي: منزلا ومصيرا { وَأَضَلُّ سَبِيلًا } دينا وطريقا من المؤمنين.

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى لِكِتَابٍ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا \* فَقُلْنَا دُھَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلُهُمْ تَدْمِيرًا \* وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا \* وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا \* وَكُلًّا صَبَرْنَا لَهُ لَأَمْثَالٍ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا } قوله تعالى: { دُھَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا }.

إن قيل: إنما عاينوا الآيات بعد وجود الرسالة، فكيف يقع التكذيب منهم قبل وجود الآيات؟

فالجواب: أنهم كانوا مكذبين أنبياء الله وكتبه المتقدمة، ومن كذب نبياً فقد كذب سائر الأنبياء، ولهذا قال: { وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ } وقال الزجاج: يجوز أن يكون المراد به نوح وحده، وقد ذكر بلفظ الجنس، كما يقال فلان يركب الدواب، وإن لم يركب إلا دابة واحدة، وقد شرحنا هذا في هود عند قوله: { وَعَصَوْا رُسُلَهُ } وقد سبق معنى التدمير.

قوله تعالى: { وَأَصْحَابُ الرِّسِّ } في الرس ثلاثة أقوال. أحدها: أنها بئر كانت تسمى الرس، قاله ابن عباس في رواية العوفي. وقال في رواية عكرمة: هي بئر بأذربيجان. وزعم ابن السائب أنها بئر دون اليمامة. وقال السدي بئر بأنطاكية. والثاني: أن الرس قرية من قرى اليمامة، قاله قتادة. والثالث: أنها المعدن، قاله ابو عبدة وابن قتيبة. وفي تسميتها بالرس قولان.

أحدهما: أنهم رسوا نبيهم في البئر، قاله عكرمة. قال الزجاج: رسوه أي دسوه فيها.

والثاني: أن كل رَكِيَّة لم تطو فهي رس، قاله ابن قتيبة. واختلفوا في أصحاب الرس على خمسة أقوال.

أحدها: أنهم قوم كانوا يعبدون شجرة، فبعث الله تعالى إليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئرا وألقوه فيها، فهلكوا قاله علي عليه السلام.

والثاني: أنهم قوم كان لهم نبي يقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيهم فأهلكهم الله، قاله سعيد ابن جبیر.

والثالث: أنهم كانوا أهل بئر، ينزلون عليها وكانت لهم مواش، وكانوا يعبدون الاصنام، فبعث الله إليهم شعيبا، فتمادوا، في طغيانهم، فانهارت البئر فخسف بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن منبه.

والرابع: أنهم الذين قتلوا حبسبا النجار، قتلوه في بئر لهم وهو الذي قال: { قَالَ يَقَوْمِ تَبِعُوا لِمُرْسَلِينَ } [يس: 20] قاله السدي.

والخامس: أنهم قوم قتلوا نبيهم وأكلوه، وأول من عمل السحر نساؤهم، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: { وَقُرُونًا } المعنى: وأهلكنا قرونا { بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا } أي: بين عاد وأصحاب الرس، وقد سبق بيان القرن [الانعام: 6] وفي هذه القصص تهديد لقريش.

قوله تعالى: { وَكَلَّا صَبْرًا لَهُ } [الأمثال] أي: أعذرنا إليه بالموعظة وإقامة الحجة { وَكَلَّا تَبَرْنَا } قال الزجاج: التبير: التدمير، وكل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته، وكُسارته التبر، ومن هذا قيل لمكسور الزجاج التبر وكذلك تبر الذهب.

{ وَلَقَدْ آتَوْا عَلَيَّ لِقْرِيَّةٍ لِيَأْمُرْتُمْ مَطَرًا لِسُوءِ أَقْلَمٍ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلًا كَانُوا لَا يَتْرُجُونَ نُشُورًا \* وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهْدَا لِيذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا \* إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنِ الْهَيْتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ لِعَذَابٍ مِّنْ أَضَلِّ سَبِيلًا \* أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَل هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }

قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَوْا } يعني كفار مكة { عَلَيَّ لِقْرِيَّةٍ لِّي } أَمْطَرْتُ مَطَرًا لِسُوءِ { يعني قرية قوم لوط التي رميت بالحجارة، أَقْلَمٍ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا } في أسفارهم فيعتبروا؟ ثم أخبر بالذي جرأهم على التكذيب فقال: { بَلْ كَانُوا لَا يَتْرُجُونَ نُشُورًا } أي: لا يخافون بعثا، هذا قول المفسرين. وقال الزجاج: الذي عليه اهل اللغة أن الرجاء ليس بمعنى الخوف، وإنما المعنى: بل كانوا لا يرجون ثواب عمل الخير، فركبوا المعاصي.

قوله تعالى: { وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ } أي: ما يتخذونك { إِلَّا هُزُوعًا } أي: مهزوعا به. ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء { أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا } إن كاد ليضلنا عن الهيتنا { أي: ليصرفنا عن عبادة الهيتنا } لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا { أي: على عبادتها قال الله تعالى: { وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ لِعَذَابٍ } في الآخرة من أضل أي: من أخطأ طريقا عن الهدى، اهم، أم المؤمنون.

ثم عَجَّب نبيه من جهلهم حين عبدوا ما دعاهم إليه الهوى، فقال: { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ } قال ابن عباس: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر، وقال قتادة: هو الكافر لا يهوى شيئا إلا ركبته. وقال ابن قتيبة: المعنى: يتبع هواه ويدع الحق فهو له كالإله.

قوله تعالى: { أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا } أي حفيظًا يحفظه من اتباع هواه. وزعم الكلبي أن هذه الآية منسوخة بآية القتال. قوله تعالى: { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ } يعني أهل مكة، والمراد: يسمعون سماع طالب الإفهام { أَوْ يَعْقِلُونَ } ما يعاينون من الحجج والأعلام { إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ } وفي وجه تشبيههم بالأنعام قولان.

أحدهما: أن الأنعام تسمع الصوت ولا تفقه القول.

والثاني: أنه ليس لها هم إلا المأكل والمشرب.

قوله تعالى: { بَلْ هُمْ أَصْلٌ سَبِيلًا } لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنفاد لأربابها وتقبل على المحسن إليها، وهم على خلاف ذلك.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا \* لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُنْفِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِئِي كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا \* وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِعِ الْكٰفِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا }

قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ } أي: إلى فعل ربك. وقال الزجاج:

معناه ألم تعلم فهو من رؤية القلب، ويجوز أن يكون من رؤية

العين، فالمعنى: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك، والظل من وقت

طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس { وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا }

أي: ثابتا دائما لا يزول { ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا } فالشمس

دليل على الظل، فلولا الشمس ما عرف أنه شيء كما أنه لولا

النور ما عرفت الظلمة، فكل الأشياء تعرف بأضدادها.

قوله تعالى: { ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا } يعني: الظل { قَبْضًا يَسِيرًا }

وفيه قولان.

أحدهما: سريعا، قاله ابن عباس.

والثاني: خفيا، قاله مجاهد.

وفي وقت قبض الظل قولان.

أحدهما: عند طلوع الشمس، يقبض الظل وتجمع أجزاءه

المنبسطة بتسليط الشمس عليه حتى تنسخه شيئا فشيئا.

والثاني: عند غروب الشمس، تقبض أجزاء الظل بعد غروبها،

ويخلف كل جزء منه جزءا من الظلام.

قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلَ لِبَاسًا } أي ساترا بظلمته،

لأن ظلمته تغشى الأشخاص وتشتمل عليها اشتمال اللباس على

لابسه { وَالنَّوْمَ سُبَاتًا } قال ابن قتيبة: أي: راحة ومنه يوم

السبت، لأن الخلق اجتمع يوم الجمعة، وكان الفراغ منه في يوم

السبت، فقيل لبني إسرائيل استريحوا في هذا اليوم، ولا تعملوا فيه شيئاً، فسمي يوم السبت، أي: يوم الراحة، وأصل السبت: التمدد، ومن تمدد استراح، وقال ابن الأنباري: أصل السبت القطع، فالمعنى: وجعلنا النوم قطعاً لأعمالكم. قوله تعالى: { وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا } فيه قولان.

أحدهما: تنتشرون فيه لابتغاء الرزق، قاله ابن عباس. والثاني: تنشر الروح باليقظة كما تنشر بالبعث، حكاه الماوردي. قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ } قد شرحناه في إلى قوله: { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } يعني: المطر، قال الأزهري: الطهور في اللغة الطاهر المطهر، والطهور ما يتطهر به، كالوضوء الذي يتوضأ به، والفطور الذي يفطر عليه.

قوله تعالى: { لِنُخِيبَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا } وقرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء وأبو جعفر { مَيِّتًا } بالتشديد قال الزجاج: لفظ البلدة مؤنث، وإنما قيل { مَيِّتًا } لان معنى البلدة والبلد سواء، وقال غيره: إنما قال: { مَيِّتًا } لأنه أراد بالبلدة المكان، وقد سبق معنى صفة البلدة بالموت ومعنى { وَنُشِقِيهِ } [الحجر: 24]. وقرأ أبو مجلز وأبو

رجاء والضحاك والأعمش وابن أبي عبله: { وَنُشِقِيهِ } بفتح النون. فاما الأناسي فقال الزجاج: هو جمع إنسي، مثل كرسي وكراسي، ويجوز أن يكون جمع إنسان، وتكون الباء بدلا من النون، الأصل: أناسين مثل سراحين، وقرأ أبو مجلز والضحاك وأبو العالية وعاصم الجحدري { وَأَنَاسِيَّ } بتخفيف الياء.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ } يعني: المطر { بَيْنَهُمْ } مرة لهذه البلدة ومرة لهذه { لِيَذْكُرُوا } أي: ليتفكروا في نعم الله عليهم فيحمدوه. وقرأ حمزة والكسائي. { لِيَذْكُرُوا } خفيفة الذال قال أبو علي: يذكر في معنى: يتذكر { فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، كفروا بنعمة الله { وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ تَذِيبًا } المعنى: إنا بعثناك إلى جميع القرى لعظم كرامتك، { فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ } وذلك أن كفار مكة دعوه إلى دين آبائهم { وَجَاهِدُهُمْ بِهِ } أي بالقرآن { جِهَادًا كَبِيرًا } أي تاماً شديداً.

**{ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ لُبَخْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَّحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا \* وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ لِكُفْرِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ظَهِيرًا }**

قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ لُبَخْرَيْنِ } قال الزجاج: أي: خلى بينهما، تقول: مرجت الدابة وأمرجتها إذا خلقتها ترعى، ومنه الحديث «مرجت عهودهم وأماناتهم» أي: اختلطت قال المفسرون: والمعنى: أنه أرسلهما في مجاريهما، فما يلتقيان

ولا يخلط الملح بالعذب، ولا العذب بالملح، وهو قوله، { هَذَا } يعني: أحد البحرين عذب أي طيب، يقال: عذب الماء يعذب عذوبة، فهو عذب. قال الزجاج: والفرات صفة للعذب، وهو أشد الماء عذوبة، والأجاج صفة للملح، وهو المر الشديد المرارة، وقال ابن قتيبة: هو أشد الماء ملوحة، وقيل: هو الذي يخالطه مرارة، ويقال: ماء ملح، ولا يقال: مالح، والبرزخ: الحاجز وفي هذا الحاجز وقولان.

أحدهما: أنه مانع من قدرة الله تعالى، قاله الأكثرون. قال الزجاج: فهما في مرأى العين مختلطان، وفي قدرة الله منفصلان لا يخلط أحدهما بالآخر، قال أبو سليمان الدمشقي: ورأيت عند عبّادان من سواد البصرة الماء العذب ينحدر في دجلة نحو البحر، ويأتي المد من البحر، فيلتقيان، فلا يخلط أحد الماءين بالآخر، يرى ماء البحر إلى الخضرة الشديدة، وماء دجلة إلى الحمرة الخفيفة، فيأتي المستقي فيعرف من ماء دجلة عذبا لا يخالطه شيء، وإلى جانبه ماء البحر في مكان واحد. والثاني: أن الحاجز الأرض واليبس، وهو قول الحسن والأول أصح.

قوله تعالى: { وَجِجْرًا مَّخْجُورًا } قال الفراء: أي: حراما محرما أن يغلب أحدهما صاحبه.

قوله تعالى: { لِيَذِيَ خَلْقَ مِّنْ لِّمَاءِ بَشَرًا } أي من النطفة بشرا أي إنسانا، { فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا } أي ذا نسب وصهر، قال علي عليه السلام: النسب ما لا يحل نكاحه، والصهر ما يحل نكاحه. وقال الضحاك: النسب سبع وهو قوله: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ } إلى قوله: { وَبَنَاتُ الْأَخْتِ }. والصهر خمس وهو قوله: { وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْتَكُمْ } إلى قوله:

{ مِنْ أُمَّهَاتِكُمْ }. وقال طاووس: الرضاة من الصهر. وقال ابن قتيبة: { نَسَبًا } أي: قرابة النسب، { وَصِهْرًا } أي: قرابة النكاح وكل شيء من قبل الزوج، مثل الأب والأخ فهم الأحماء، واحدهم حما، مثل قفا، وحمو مثل أبو وحممء مهموز ساكن الميم وحمم مثل أب وحماة المرأة أم وزجها، لا لغة فيها غير هذه، وكل شيء من قبل المرأة، فهم الأختان. والصهر يجمع ذلك كله، وحي ابن فارس عن الخليل: أنه قال: لا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان، ولأهل بيت المرأة إلا أصهار. ومن العرب يجعلهم أصهارا كلهم، والصهر: إذابة الشيء. وذكر الماوردي أن المناكح سميت صهرا، لاختلاط الناس بها، كما يخلط الشيء إذا صهر.

قوله تعالى: { وَكَانَ لِكُفْرٍ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا } فيه أربعة أقوال. أحدها: معينا للشيطان على ربه، لأن عبادته للأصنام معاونة للشيطان.

والثاني: معينا للمشركين على أن لا يوحدوا الله تعالى.

والثالث: معينا على أولياء ربه.

والرابع: وكان الكافر على ربه هينا ذليلا، من قولك: ظهرث بفلان: إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه. قالوا: والمراد بالكافر ها هنا أبو جهل.

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ لِحَىٰ لِيَدِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّحُ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا \* لِيَدِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ سَبَّوْهُ عَلَىٰ لِعَرْشِ الرَّحْمَنِ فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ سَجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا }

قوله تعالى: { وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ } أي: على القرآن وتبليغ الوحي { مِنْ أَجْرٍ } وهذا توكيد لصدقه، لأنه لو سألهم شيئا من أموالهم لاتهموه، { إِلَّا مَنْ شَاءَ } معناه: لكن من شاء { أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } بانفاق ماله في مرضاته، فعل ذلك، فكانه قال: لا أسألكم لنفسي. وقد سبق تفسير الكلمات التي تلي هذه [آل عمران: 159، البقرة: 30، الأعراف: 54] إلى قوله: { فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا } و«به» بمعنى: «عنه»، قال علقمة بن عبدة:

فان تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

وفي هاء به ثلاثة أقوال.

أحدها: أنها ترجع إلى الله عز وجل.

والثاني: إلى اسمه الرحمن، لأنهم قالوا لا نعرف الرحمن.

والثالث: إلى ما ذكر من خلق السماوات والأرض وغير ذلك.

وفي الخير أربعة أقوال.

أحدها: أنه جبريل، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه الله عز وجل والمعنى: سلني فأنا الخير، قاله

مجاهد.

والثالث: أنه القرآن، قاله شمر.

والرابع: مُسَلِّمَةٌ أهل الكتاب، قاله أبو سليمان. وهذا يخرج على

قولهم: لا نعرف الرحمن، ف قيل: سلوا مُسَلِّمَةَ أهل الكتاب، فان

الله تعالى خاطب موسى في التوراة باسمه الرحمن، فعلى هذا

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سواه.

قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ } يعني: كفار مكة { سَجُدُوا لِلرَّحْمَنِ

قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ } قال المفسرون: إنهم قالوا: لا نعرف

الرحمن إلا رجمن اليمامة، فأنكروا أن يكون من أسماء الله تعالى،

{ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا } وقرأ حمزة، والكسائي: { يَاْمُرُنَا } بالياء، أي:

لما يأمرنا به محمد، وهذا استفهام إنكار، ومعناه: لا نسجد للرحمن



الذي تأمرنا بالسجود له، { تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ } ذكر الرحمن { نُفُورًا } أي: تباعدا من الإيمان.

{ تَبَارَكَ لِيذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا \* وَهُوَ لِيذِي جَعَلَ لَيْلًا وَالنَّهَارَ خَلْفَةً لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا }

قوله تعالى: { تَبَارَكَ لِيذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا } قد شرحناه في [الحجر:16] والمراد بالسراج: الشمس. وقرأ حمزة، والكسائي: { سُرُجًا } بضم السين والراء وإسقاط الألف. قال الزجاج: أراد الشمس والكواكب العظام، ويجوز { سُرُجًا } بتسكين الراء مثل رسل ورسل. قال الماوردي: لما اقترن بضوء الشمس وهج حرها جعلها لأجل الحرارة سراجا، ولما عدم ذلك في القمر جعله نورا.

قوله تعالى: { مُنِيرًا وَهُوَ لِيذِي جَعَلَ لَيْلًا وَالنَّهَارَ خَلْفَةً } فيه قولان.

أحدهما: أن كل واحد منهما يخالف الآخر في اللون فهذا أبيض وهذا أسود، روى هذا المعنى الضحاك عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال قتادة.

والثاني: أن كل واحد منهما يخلف صاحبه، رواه عمرو بن قيس الملائي عن مجاهد، وبه قال ابن زيد وأهل اللغة، وأنشدوا قول زهير:

بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

أي: إذا ذهب طائفة جاءت طائفة.

قوله تعالى: { لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ } أي: يتعظ ويعتبر باختلافهما. وقرأ حمزة: { يُذَكِّرُ } خفيفة الذال مضمومة الكاف. وهي في معنى: يتذكر، { أَوْ أَرَادَ } شكر الله تعالى فيهما.

{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \* وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا }

قوله تعالى: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ } وقرأ علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن السميعة: { يَمْشُونَ } برفع الياء وفتح الميم والشين وبالتشديد. وقال ابن قتيبة: إنما نسبهم إليه لاصطفائه إياهم، كقوله: { نَاقَةُ اللَّهِ } الأعراف [73]، ومعنى { هَوْنًا } : مشيا رويدا. ومنه يقال: أحب حبيبك هونا ما. وقال مجاهد: يمشون بالوقار والسكينة. { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } أي: سادا. وقال الحسن: لا يجهلون على أحد، وإن جهل

عليهم حلموا. وقال مقاتل بن حيان: { قَالُوا سَلَامًا } أي: قولا يسلمون فيه من الإثم. وهذه الآية محكمة عند الأكثرين. وزعم قوم: أن المراد بها أنهم يقولون للكفار: ليس بيننا وبينكم غير السلام، ثم نسخت بآية السيف.

قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ } قال الزجاج: كل من أدركه الليل فقد بات، نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قلعا، إنما المبيت إدراك الليل.

قوله تعالى: { كَانَ غَرَامًا } فيه خمسة أقوال متقارب معانيها. أحدها: دائما رواه أبو سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: موجعا، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: ملحا، قاله ابن السائب، وقال ابن جريج: لا يفارق. والرابع: هلاكا، قاله أبو عبيدة.

والخامس: أن الغرام في اللغة أشد العذاب، قال الشاعر:  
ويوم النصار ويوم الجفا ر كانا عذبا وكانا غراما

قاله الزجاج.

قوله تعالى: { سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا } أي: بئس موضع الاستقرار وموضع الإقامة هي.

قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا } وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: { يَقْتُرُوا } مفتوحة الياء مكسورة التاء. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: { يَقْتُرُوا } بفتح الياء وضم التاء. وقرأ نافع، وابن عامر: { يَقْتُرُوا } بضم الياء وكسر التاء. وفي معنى الكلام قولان.

أحدهما: أن الإسراف: مجاوزة الحد في النفقة، والإقتار: التقصير عما لا بد منه، ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب: كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى.

والثاني: أن الإسراف: الإنفاق في معصية الله وإن قل، والإقتار: منع حق الله تعالى، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج في آخرين.

قوله تعالى: { وَكَانَ } يعني الإنفاق { بَيْنَ ذَلِكَ } أي: بين الإسراف والإقتار { قَوَامًا } أي: عدلا، قال ثعلب: { الْقَوَامُ } بفتح القاف الاستقامة والعدل، وبكسرها ما يدوم عليه الأمر ويستقر.

{ وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا \* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }

قوله تعالى: { قَوَاماً وَ لِّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } في سبب نزولها ثلاثة أقوال.

أحدها: ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت: ثم أي، قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني جليلة جارك»، فأنزل الله تعالى تصديقها: { وَ لِّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } الآية.

والثاني: أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فآكثروا وزنوا فآكثروا، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية إلى قوله: { عَفُوراً رَّحِيماً } أخرجه مسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثالث: أن وحشيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أتيتك مستجيراً فأجرني، حتى أسمع كلام الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جوارى، حتى تسمع كلام الله، قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت، فهل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الآية، فتلاها عليه، فقال: أرى شرطاً فلعلي لأعمل صالحاً، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: 48] فدعاه فتلاها عليه فقال: ولعلي ممن لا يشاء الله، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله، فنزلت { قُلْ يُعْبَادِي لِلَّذِينَ أُشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } الآية [الزمر: 53] فقال: نعم الآن لا أرى شرطاً، فأسلم، رواه عطاء عن ابن عباس، وهذا وحشي هو قاتل حمزة» وفي هذا الحديث المذكور عنه نظر، وهو بعيد الصحة، والمحفوظ في إسلامه غير هذا، وأنه قدم مع رسل الطوائف فأسلم من غير اشتراط. وقوله { يَدْعُونَ } معناه: يعبدون وقد سبق بيان قتل النفس بالحق في [الأنعام 151].

قوله تعالى: { يَلْقَ أَثَاماً } وقرأ سعيد بن جبير، وأبو المتوكل: { يَلْقَ } برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة، قال ابن عباس: يلق جزاء. وقال مجاهد، وعكرمة: وهو واد في جهنم، وقال ابن قتيبة: يلق عقوبة، وأنشد:

جزى الله ابن عروة حيث أمسى عقوقا والعقوق له أثام

قال الزجاج: وقوله تعالى: { يَلْقَ أَثَاماً } جزماً على الجزاء. قال أبو عمرو الشيباني يقال: قد لقي أثام ذلك، أي: جزاء ذلك،

وسيبويه والخليل يذهبان إلى أن معناه: يلقي جزاء الأثام، قال سيبويه: وإنما جزم {يُضَعَفُ لَهُ لِعَذَابٌ} لأن مضاعفة العذاب لقي الأثام، فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

متى تأتينا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا  
لأن الإتيان هو الإلمام، فجزم «تلمم» لانه بمعنى تأتي. وقرأ الحسن: {يُضَعَفُ} وهو جيد بالغ، تقول: ضاعفت الشيء وضعفته. وقرأ عاصم: {يُضَعِفُ} بالرفع على تفسير {يَلْقَى أَثَامًا} كأن قائلًا قال: ما لقي الأثام، فقيل: يضاعف للأثم العذاب. وقرأ أبو المتوكل، وقتادة، وأبو حيوة: {يُضَعِفُ} برفع الياء وسكون الضاد وفتح العين خفيفة من غير ألف. وقرأ أبو حصين الأسدي، والعمري عن أبي جعفر مثله، إلا أن العين مكسورة، {وَلِعَذَابٌ} بالنصب.

قوله تعالى: {وَيَخْلُدُ} وقرأ أبو حيوة، وقتادة، والأعمش: {وَيَخْلُدُ} برفع الياء وسكون الخاء وفتح اللام مخففة، وقرأ عاصم الجحدري، وابن يعمر، وأبو المتوكل مثله، إلا أنهم شددوا اللام. فصل

ولعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان. أحدهما: أنها منسوخة وفي ناسخها ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء 93] قاله ابن عباس. وكان يقول: هذه مكية، والتي في النساء مدنية. والثاني: أنها نسخت بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} الآية [النساء 48].

والثالث: أن الأولى نسخت بالثانية، وهي قوله: {إِلَّا مَنْ تَابَ}. والقول الثاني: أنها محكمة، والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا وفساد القول. الأول ظاهر لأن القتل لا يوجب تخليدا عند الأكثرين، وقد بيناه في سورة [النساء 93]، والشرك لا يغفر إذا مات الميشرِك عليه، والاستثناء ليس بنسخ.

قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ} قال ابن عباس: قرأنا على عهد رسول الله سنتين: {وَلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} ثم نزلت {إِلَّا مَنْ تَابَ} فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشيء فرحه بها، وب {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح 1]. قوله تعالى: {فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} {اختلفوا في كيفية هذا التبديل وفي زمان كونه، فقال ابن عباس: يبدل الله شركهم إيمانًا، وقتلهم إمساكا، وزناهم إحصانا، وهذا يدل: أولاً: على أنه يكون في الدنيا، وممن ذهب إلى هذا المعنى سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد. والثاني: أن هذا يكون في الآخرة، قاله سلمان رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين. وقال عمرو بن ميمون:

يبدل الله سيئات المؤمن إذا غفرها له حسنات، حتى إن العبد يتمنى أن تكون سيئاته أكثر مما هي، وعن الحسن كالقولين، وروي عن الحسن أنه قال: ود قوم يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا استكثروا من الذنوب، فقيل: من هم؟ قال: هم الذين قال الله تعالى فيهم: { فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } ويؤكد هذا القول حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتعرض عليه صغار ذنوبه، وتنحى عنه كبارها، فيقال: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر، وهو مشفق من الكبار، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة». أخرجه مسلم في صحيحه.

**{ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا \* وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا \* وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ جَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا }**  
قوله تعالى: { وَمَنْ تَابَ } ظاهر هذه التوبة أنها عن الذنوب المذكورة. وقال ابن عباس: يعني: ممن لم يقتل ولم يزن، { وَعَمِلَ صَالِحًا } فاني قد قدمتهم وفضلتهم على من قاتل نبيي واستحل محارمي.

قوله تعالى: { فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } قال ابن الأنباري: معناه: من اراد التوبة وقصد حقيقتها، فينبغي له أن يريد الله بها، ولا يخلط بها ما يفسدها، وهذا كما يقول الرجل: من تجر فانه يتجر في البر، ومن ناظر فانه يناظر في النحو، أي: من اراد ذلك فينبغي أن يقصد هذا الفن. قال: ويجوز أن يكون معنى هذه الآية: ومن تاب وعمل صالحا. فان ثوابه وجزاءه يعظمان له عند ربه، الذي اراد بتوبته، فلما كان قوله: { فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } يؤدي عن هذا المعنى، كفى منه، وهذا كما يقول الرجل للرجل: إذا تكلمت فاعلم أنك تكلم الوزير، أي: تكلم من يعرف كلامك ويجازيك، ومثله قوله تعالى: { إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ } [يونس 71] أي: فاني أتوكل على من ينصرني، ولا يسلمني. وقال قوم معنى الآية: فانه يرجع إلى الله مرجعا يقبله منه.

قوله تعالى: { وَ الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ } فيه ثمانية أقوال، أحدها: أنه الصنم، روى الضحاك عن ابن عباس: ان الزور صنم كان للمشركين.  
والثاني: أنه الغناء، قاله محمد بن الحنفية، ومكحول؛ وروى ليث عن مجاهد قال: لا يسمعون الغناء.  
والثالث: الشرك، قاله الضحاك، وأبو مالك.  
والرابع: لعب كان لهم في الجاهلية، قاله عكرمة.

والخامس: الكذب، قاله قتادة، وابن جريج.

والسادس: شهادة الزور، قاله علي بن أبي طلحة.

والسابع: أعياد المشركين، قاله الربيع بن أنس.

والثامن: مجالس الخنا، قاله عمرو بن قيس.

وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال.

أحدها: المعاصي، قاله الحسن.

والثاني: أذى المشركين إياهم، قاله مجاهد.

والثالث: الباطل، قاله قتادة.

والرابع: الشرك، قاله الضحاك.

والخامس: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه، قاله مجاهد. وقال محمد ابن

علي: إذا ذكروا الفروج كنوا عنها.

قوله تعالى: { مَرُّوا كِرَامًا } فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: مروا حلماً، قاله ابن السائب.

والثاني: مروا معرضين عنه، قاله مقاتل.

والثالث: أن المعنى: إذا مروا باللغو جاوزوه، قاله الفراء.

قوله تعالى: { وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا } أي: وعظوا { بِآيَاتِ رَبِّهِمْ }

وهي القرآن، { لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } قال ابن قتيبة: لم

يتغافلوا عنها، كأنهم صم لم يسمعوها، عمي لم يروها، وقال

غيره من أهل اللغة: لم يثبتوا على حالتهم الأولى، كأنهم لم

يسمعوا، ولم يروا، وإن لم يكونوا خروا حقيقة، تقول العرب:

شتمت فلانا، فقام يبكي، وقعد يندب، وأقبل يعتذر، وظل يتحير،

وإن لم يكن قام ولا قعد.

قوله تعالى: { هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا } قرأ ابن كثير، ونافع،

وابن عامر، وحفص عن عاصم: { وَذُرِّيَّاتِنَا } على الجمع. وقرأ أبو

عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، وحفص عن عاصم: { وَذُرِّيَّاتِنَا }

{ عَلَى التَّوْحِيدِ، { قُرَّةَ أَعْيُنٍ } وقرأ ابن مسعود، وأبو حيوة:

{ قَرَاتٍ أَعْيُنٍ } يعنون: من يعمل بطاعتك فتقر به أعيننا في الدنيا

والآخرة، وسئل الحسن عن قوله: { قُرَّةَ أَعْيُنٍ } في الدنيا أم في

الآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، وأي شيء أقر لعين المؤمن من أن

يرى زوجته وولده، يطيعون الله، والله ما طلب القوم إلا أن يطلع

الله فتقر أعينهم. قال الفراء: إنما قال: { قُرَّةَ } لأنها فعل.

والفعل لا يكاد يجمع، ألا ترى إلى قوله: { وَكُنُوا تُبُورًا كَثِيرًا }

[الفرقان 44] فلم يجمعه، والقرة مصدر تقول: قرت عينه قرة،

ولو قيل: قرة عين أو قرأت عين كان صواباً. وقال غيره: أصل

القرة من البرد، لأن العرب تتأذى بالحر، وتستروح إلى البرد.

قوله تعالى: { وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } فيه قولان.

أحدهما: اجعلنا أئمة يقتدى بنا، قاله ابن عباس. وقال غيره: هذا من الواحد الذي يراد به الجمع، كقوله: {إِنَّا رَسُولُ رَبِّ لَعَلِّمِينَ} [الشعراء 16] وقوله: {فَانَّهُمْ عَدُوٌّ لِي} [الشعراء 77].  
والثاني: اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم، قاله مجاهد، فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب، فيكون المعنى: واجعل المتقين لنا إماماً.

**{أُولَئِكَ يُجْرُونَ لِعُرْفَةٍ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا \* خَلِيدِينَ فِيهَا حَبِطَتْ مُسْتَغْرًا وَمُقَامًا \* قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا}**

قوله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْرُونَ لِعُرْفَةٍ} قال ابن عباس: يعني الجنة. وقال غيره: العرفة كل بناء عال مرتفع، والمراد غرف الجنة، وهي من الزبرجد والدر والياقوت، {بِمَا صَبَرُوا} على دينهم وعلى أذى المشركين.

قوله تعالى: {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا} قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: {وَيُلَقَّوْنَ} \* هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذَرِّبْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا \* أُولَئِكَ يُجْرُونَ لِعُرْفَةٍ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ} بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، {تَحِيَّةً وَسَلَامًا} قال ابن عباس: يحيي بعضهم بعضاً بالسلام، ويرسل إليهم الرب عز وجل بالسلام. وقال مقاتل: {تَحِيَّةً} يعني: السلام وسلاماً: أي سلم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم.  
قوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي} فيه ثلاثة أقوال.

أحدها: ما يصنع بكم قاله ابن عباس.

والثاني: أي وزن يكون لكم عنده؛ تقول: ما عبأت بفلان أي: ما كان له عندي وزن ولا قدر، قاله الزجاج.

والثالث: ما يعبا بعبابكم، قاله ابن قتيبة.

وفي قوله: {لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} أربعة أقوال.

أحدها: لولا إيمانكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: لولا عبادتكم، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه، قاله مجاهد، والمراد نفع

الخلق، لأن الله تعالى غير محتاج.

والرابع: لولا توحيدكم، حكاه الزجاج. وعلى قول الأكثرين ليس

في الآية إضمار، وقال ابن قتيبة: فيها إضمار تقديره: ما يعبا بعبابكم

بعبابكم لولا ما تدعونه من الشريك والولد، ويوضح ذلك قوله:

{فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} يعني العذاب، ومثله قول الشاعر:

من شاء دلى النفس في هوة ضنك ولكن من له بالمضيق

أي بالخروج من المضيق، وهل هذا خطاب للمؤمنين أو للكفار، فيه قولان: فأما قوله تعالى: { فَقَدْ كَذَّبْتُمْ } فهو خطاب لأهل مكة حين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم { فَسَوْفَ يَكُونُ } يعني: تكذيبكم { لِزَاماً } أي عذاباً لازماً لكم وفيه ثلاثة أقوال. أحدها: أنه قتلهم يوم بدر، فقتلوا يومئذ واتصل بهم عذاب الآخرة لازماً لهم، وهذا مذهب ابن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد في آخرين.

والثاني: أنه الموت، قاله ابن عباس.

والثالث: أن اللزام القتال، قاله ابن زيد.